دور الأزهر الشريف
في نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام

إعداد

د/ أحمد محمد أحمد محمد عطية الشيخ

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

من ١١ إلى ٥٦

دور الأزهر الشريف في نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام

أحمد محمد أحمد محمد عطية الشيخ
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق،جامعة الأزهر – مصر.
البريدالإلكتروني:d.ahmedelsheikh2030azhar.edu.eg

الملخص :
يتناول البحث دورالأزهر الشريف في نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام، ويلقي الضوء على بعض الجهود التي قام بها علماؤه في هذا الشأن، كما يبين المنهج الوسطي للأزهر وتقبله للفكر الآخر.
اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، أما التمهيد فقد أوضحت فيه أبرز مفردات عنوان البحث.
وأما المبحث الأول فقد ذكرت فيه نبذة تاريخية عن الأزهر الشريف منذ إنشائه وحتى عصرنا الحاضر، وأظهرت فيه كيف واكب الأزهر تطور العصر على مر الأزمنة.
والمبحث الثاني بينت فيه تاريخ الاستشراق، ودوافعه المتعددة، وبعض الآثار التي خلفها الاستشراق على العالم الإسلامي.
وأما المبحث الثالث فقد أبرزت فيه دور الأزهر الشريف كمؤسسة وقلعة علمية كبيرة في نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام، وتعرضت فيه لبعض الجهود التي قام بها أبناء الأزهر وعلماؤه في هذا الأمر، وأهمها: ذهاب بعضهم لتعليم الغربيين والتدريس في جامعات أوربا، وابتعاث بعضهم للدراسة في الجامعات الغربية، وتأليف الكتب، وإجراء الحوارات وعقد المناظرات مع بعض المستشرقين إلى غير ذلك من الجهود.

الكلمات المفتاحية: دور، الأزهر الشريف، نقد، الخطاب الاستشراقي، الإسلام

Al-Azhar’s Role In Criticizing The Orientalist Discourse On Islam

Ahmed Mohamed Ahmed Mohamed Attia El Sheikh
Department Of Dawa And Islamic Culture,Faculty Of Fundamentals Of Religion And Dawa , Zagazig , Al-Azhar University , Egypt.
Email: d.ahmedelsheikh2030@azhar.edu.eg

Research Summary:

The research deals with the role of Al-Azhar in criticizing Orientalist thought about Islam, and sheds light on some of the efforts made by its scholars in this regard, as it shows the intermediate approach of Al-Azhar and its acceptance of the other thought.

The research included a preface and three topics, while the preface clarified the most prominent vocabulary of the research title

As for the first topic, I mentioned a historical summary about Al-Azhar Al-Sharif from its inception until the present day, and it showed how Al-Azhar has kept pace with the development of the age over the ages.

The second topic shows the history of Orientalism, its multiple motives, and some of the effects that Orientalism has had on the Islamic world.

As for the third topic, Ihighlighted the role of Al-Azhar as a large scientific institution and castle in criticizing the Orientalist discourse on Islam, and it exposed some of the efforts made by the sons of Al-Azhar and its scholars in this matter, the most important of which are: some of them went to teach Westerners and teach in universities in Europe, and some of them dispatched to study in universities Western, writing books, conducting debates and holding debates with some orientalists to other efforts.

Keywords: Dor, Al-Azhar Al-Sharif, Critic, Orientalist Discourse, Islam.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق وإمام النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد.

أما بعد

فقد كان الأزهر منذ أكثر من ألف عام – ولا يزال– حصن الدين الحصين, وركن العلم المتين, وقلعة الوسطية ليس في العالم الإسلامي فحسب، بل في جميع أنحاء الأرض.

ولعشرة قرون أو تزيد, ظل الأزهر حاملا لواء الدعوة الإسلامية، وحاميا لها، ومنافحا عنها؛ فانتهت إليه علوم الشريعة الإسلامية، واستأمنت إليه آداب العرب, واستعصمت فيه لغة القرآن.

وخلال هذه الأعوام العديدة والأزمنة المديدة، لم تنقص من قدره الأحداث والمحن, ولم تزلزل أركانه الخطوب والفتن، فهذا هو الدين الإسلامي, نشره علماء الأزهر, ونصره أبناؤه, حتى شع نوره, وانتشر ضياؤه في جميع أصقاع الأرض، حيث نفر من كل فرقة منهم طائفة يبينون صحيح الإسلام, ويزيلون ما علق به من فهم مغلوط بقصد أو بغير قصد؛ فتبددت أمامهم شبه المعادين وظهر زيف المضللين والمشككين.

واستمرارا لأداء تلك الرسالة في الدفاع عن الإسلام كان للأزهر الشريف دور كبير في الرد على شبهات المستشرقين ونقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام؛ لبيان الحق من الباطل والصواب من الخطأ في هذا الخطاب، وهذا ما سأبينه في هذا البحث.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يأتي في وقت تزادد فيه الهجمة الشرسة والمغرضة على الأزهر الشريف، وإلصاق بعض التهم به، والتي لا تتعدى كونها دعاوى بلا دليل.

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع، فإن لاختياره أسباب عدة من أهمها:

١- إبراز دور الأزهر في الدفاع عن الإسلام.

٢- بيان وسطية الأزهر وتقبله للفكر الآخر.

٣- بيان زيف الدعاوى التي تتهم الأزهر بالإقصائية والحجر على الفكر.

٤- إلقاء الضوء على بعض الجهود التي قام بها الأزهر لنقد الفكر الاستشراقي المعادي للإسلام.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطته كالتالي:

المقدمة وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث.

التمهيد وفيه توضيح أبرز مفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: الأزهر عبر التاريخ

المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق ودوافعه

المبحث الثالث: جهود الأزهر الشريف في نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام.

التمهيد

جرت عادة الباحثين أن يقدموا بين يدى أبحاثهم ودراساتهم تحديداً للمصطلحات التي تدور حولها فكرة الموضوع محل البحث والدراسة.

فمما لا ريب فيه أن تحديد المفاهيم والمصطلحات لأى موضوع من الموضوعات يعين الباحث والقارئ على فهم الموضوع، فضلاً عن أنه يقدم تصوراً للموضوع، وبالتالي استيعاب أبعاده كلها؛ لأن الحكم على الشئ فرع عن تصوره كما يقرر علماء المنطق.

ولما كان عنوان هذا البحث هو (دور الأزهر الشريف في نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام) كان لا بد من التعريف بأبرز مفرداته، حسب المنهج العلمي المعلوم لدى الباحثين؛ لأن ذلك يساعد على المعالجة الموضوعية للقضايا التي يتناولها الموضوع وهذا التمهيد يشتمل على توضيح مفاهيم أبرز مصطلحات عنوان البحث (نقد- الخطاب - الاسستشراقي-)

وهذا ما سأبينه فيما يأتي:

أولا: تعريف مصطلح(نقد) فى اللغة والاصطلاح

أ- مفهوم كلمة(نقد) فى اللغة

بالرجوع إلى معاجم اللغة يظهر أن كلمة نقد تأتى على عدد من المعانى، فقد جاء فى مختار الصحاح: "(نَقَدَ) الدَّرَاهِمَ وَ (انْتَقَدَهَا) أَخْرَجَ مِنْهَا الزَّيْفَ...، وَ (نَاقَدَهُ) نَاقَشَهُ فِي الْأَمْرِ"(١).

وجاء فى لسان العرب: "والنقْدُ والتَّنْقادُ: تمييزُ الدراهِم وإِخراجُ الزَّيْفِ مِنْها.. وناقدْتُ فُلَانًا إِذا نَاقَشْتَهُ فِي الأَمر"(١).

---

(١) مختار الصحاح للرازي- باب نقد ص٣١٧- تحقيق/ يوسف الشيخ محمد- الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م- المكتبة العصرية- بيروت، الدار النموذجية- صيدا.

ومما سبق يتبين أن كلمة (نقد) تأتي في اللغة على معان أهمها ما يأتي:

١-التمييز وإخراج الزيف

٢-المناقشة في الأمر

والمعنيان المذكوران لصيقان بموضوع البحث حيث أبرز فيه جهود الأزهر الشريف في التمييز بين الباطل والحق من كلام المستشرقين، ومناقشته لهم فيما كتبوا عن حول الإسلام.

ب- مفهوم كلمة (نقد) فى الاصطلاح

عرف العلماء النقد اصطلاحياً بعدة تعريفات من أهمها:

١- "دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها مما يشابهها أو يقابلها، ثم إصدار الحكم عليها بتحديد مقدار قيمتها وبيان واقع درجتها، ويجري هذا في الحسيات والمعنويات وفى العلوم والفنون وفى كل شئ متصل بالحياة"(٢).

٢- "مجموعة من العمليات الذهنية التي تستهدف تقييم بعض الحقائق والمعلومات والأفكار والظواهر وتمييز ما فيها من خير وحق، وصواب وجمال، عما فيها من باطل وخطأ وقبح"(٣).

---

(١) لسان العرب- جمال الدين بن منظور - ج٣ باب الدال فصل النون صـ ٤٢٥- الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ- دار صادر - بيروت.

(٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي- الصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عباد- ص٧- تحقيق الشيخ/محمد حسين آل ياسين- الطبعة الأولى-١٣٨٥هـ-١٩٦٥م- مطبعة المعارف- مكتبة النهضة- بغداد، النظرية النقدية عند العرب- د/هند حسين طه- ص٢٠- منشورات وزارة الثقافة والإعلام-الجمهورية العراقية-إصدار١٩٨١م- دار الرشيد.

(٣) تكوين المفكر- د/عبد الكريم بكار- ص٧٧- الطبعة الأولى١٤٣١هـ-٢٠١٠م- دار السلام- القاهرة

٣- "عملية تصحيح وتقويم وترشيد ومحاكمة إلى قواعد متفق عليها أو إلى نسق كلى"(١).

استناداً إلى المعاني اللغوية، وهذه التعريفات الاصطلاحية السابقة يمكن تعريف النقد بأنه: تمييز الزيف من الحقيقة في أمر ما بعد النظر الفاحص والتأمل الدقيق.

ثانيا: تعريف الخطاب الاستشراقي

عند النظر في هذا المصطلح نجد أنه يتكون من كلمتين (الخطاب- الاستشراقي) لذا لا بد من التعريف بكلتيهما لنصوغ تعريفا للمصطلح كله، وذلك على النحو الآتي:

تعريف الخطاب:

أ- في اللغة

جاء في المعجم الوجيز: "خاطبه مخاطبة، وخطابا: كلمه وحادثه، ووجه إليه كلاما"(٢).

ب- في الاصطلاح: بناء على ما سبق من معان لغوية يمكن تعريف الخطاب بأنه: ما يوجه من كلام إلى الغير.

مفهوم كلمة (الاستشراق)

أ- فى اللغة: الاستشراق مأخوذ من الفعل استشرق، وبالبحث في معاجم اللغة العربية يتبين أن هذا اللفظ لا يوجد؛ نظراً لأنه لفظ مستحدث مما يحتم الرجوع إلى أصل مادته اللغوية وهو لفظ (شرق) وذلك على النحو الآتى:

---

(١) ينظر: أبجديات البحث فى العلوم الشرعية- د/فريد الأنصارى- الطبعة الأولى١٤١٧هـ-١٩٩٧م- مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- سلسلة الحوار٢٧- منشورات الفرقان.

(٢) المعجم الوجيز -ص٢٠٢- مجمع اللغة العربية- ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

جاء فى لسان العرب: "شرق: شَرَقَت الشمسُ تَشْرُق شُروقاً وشَرْقاً: طَلَعَتْ، وَاسْمُ الْمَوْضِعِ المَشْرِق"(١).

وجاء فى المعجم الوسيط: "شَرق: أَخذ فِي نَاحيَة الْمشرق... والْمشرق: جِهَة شروق الشَّمْس، والبلاد الإسلامية فِي شَرْقي الجزيرة الْعَرَبيَّة"(٢).

ومن خلال ما سبق يتضح أن كلمة (استشراق) من الألفاظ الحديثة في اللغة العربية، وفعلها (استشرق) على وزن (استفعل) وأضيفت إليها الألف والسين والتاء للدلالة على الطلب أي طلب التوجه إلى الشرق بوجه عام، وليس التوجه للشرق إلا لأهداف معينة وعلى رأسها طلب علومه، وآدابه، ولغته، وحضارته.

ب - مفهوم كلمة الاستشراق في الاصطلاح

تعددت تعريفات العلماء والباحثين للاستشراق، ومن هذه التعريفات:

١- هو"علم الشرق أو علم العالم الشرقي"(٣).

٢- عّرفه البعض بأنه: "دراسة الغربيين عن الشرق من ناحية عقائده وآدابه إلى غير ذلك"(٤).

٣- كما عرفه آخرون بأنه "تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه"(١).

---

(١) لسان العرب- جمال الدين بن منظور - ج١٠- باب القاف فصل الشين - صـ ١٧٣- مرجع سابق.

(٢) المعجم الوسيط - باب الشين-ج١ص٤٧١- مجمع اللغة العربية بالقاهرة- مرجع سابق.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق ص ١٨- دار المعارف، القاهرة ١٩٩٧م

(٤) نشأة الاستشراق،مراحله ودوافع المستشرقين-د/أحمد عبد العزيز الحصين-ص١٥- الطبعة الأولى١٤٣٢هـ-٢٠١١م- مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع .

ومن خلال الجمع بين التعريفات السابقة أرى أنه يمكن استفادة تعريف للاستشراق هو: قيام الباحثين الغربيين بدراسة علوم الشرق خاصة الإسلام في أحد جوانبه المختلفة (لغة وحضارة وآدابا وعقيدة وشريعة وأخلاقا..الخ)

وقد قيدت من يقوم بهذه الدراسة من الغربيين أعني (المستشرقين) بلفظ (الباحثين) وليس بلفظ (العلماء)؛ لأنهم يبحثون ويَدرُسون، وقد يحيطون بالمسالة المدروسة خبراً وقد لا يحيطون والواقع يثبت أن كثيرا من المستشرقين لا يعرفون عما يدرسون الشئ الكثير، ومع ذلك يصدرون الأحكام الظنية عليها!.

وتخصيصي للإسلام عن سائر ديانات وعلوم الشرق؛ لأن المقصود من كتابات المستشرقين هو الإسلام كدين وليس الشرق لمجرد الشرق، حيث إن اليهودية والنصرانية نزلتا في الشرق ومع ذلك لا تقارن كتابات المستشرقين عنهما بما كتبوه عن الإسلام بأي حال من الأحوال.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لفظ الشرق يطلق عادة على المنطقة العربية وشعوب آسيا وأفريقيا، أما مصطلح (الشرق الأوسط) فيطلق عادة على المنطقة العربية فقط، وفي العصر الحاضر أطلق لفظ (العالم الثالث) على تلك الشعوب التي كان يطلق عليها الماضي العالم الشرقي، أو دول الشرق(٢).

---

(١)نقد الخطاب الاستشراقي- ساسى الحاج- ج١ص٢٢-دار المدار الإسلامي- بيروت٢٠٠٢م

(٢) ينظر: الاستشراق فى ميزان الفكر الإسلامى(٣)- د/محمد إبراهيم الفيومى-ص١٠- سلسلة قضايا إسلامية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة -١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.، الاستشراق (تعريفه – مدارسه- آثاره)- محمد فاروق النبهان -ص١١- منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) -١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

وبعد هذا التعريف بكلمتي الخطاب، والاستشراق يمكن تعريف مصطلح الخطاب الاستشراقي بأنه: الكلام الموجه نحو الإسلام من المستشرقين وأتباعهم.

وعلى هذا يكون المعنى الكلى لعنوان هذا البحث (ما قام به الأزهر الشريف من جهود لكشف الزيف من الحقيقة في كلام المستشرقين وأتباعهم عن الإسلام)

المبحث الأول:

الأزهر عبر التاريخ

النشأة والتأسيس:

إن المطالع لكتب التاريخ يجد أن (الأزهر الشريف) أنشئ في أول أمره بمصر جامعا(١) باسم (جامع القاهرة، الذى سمى الأزهر فيما بعد) حيث وضع حجر أساسه في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى, سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان, سنة إحدى وستين وثلاثمائة وكانت أول جمعة أقيمت في الأزهر منذ إنشائه, في شهر رمضان لسبع خلون منه, سنة إحدى وستين وثلاثمائة(٢).

الغرض من إنشائه:

كان الغرض من إنشاء الجامع الأزهر في بادئ أمره أن يكون المقر الرسمي للدولة الفاطمية ، ومنطلقا لنشر المذهب الشيعي وذلك من خلال الدروس العلمية التي انتظمت فيه ، وقد تشدد الفاطميون في مراعاة المذهب الشيعي بصفة رسمية فيما يدرس من الكتب أول الأمر, حتى أنه في سنة (٣٨١هـ) في عهد العزيز بالله, قبض على رجل وجد عنده كتاب "الموطأ" للإمام مالك وطيف به, وجلد لإحرازه.

---

(١) كان ذلك في أول عهد الدولة الفاطمية بمصر

(٢) ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ج٤ص٥١-٥٢- الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت، الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة- محمد كامل الفقي- ج١ص٨-٢٠- المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف

وأول كتاب درس في الجامع الأزهر هو كتاب (الاقتصار)(١) في فقه آل البيت, كما كان هناك كتب أخرى في فقه الشيعة تدرس في الأزهر(٢).

وحينما استقل الأيوبيون بحكم مصر عام (٥٦٧هـ) عملوا بكل جهدهم للقضاء علي المذهب الشيعي وإحلال مذهب أهل السنة في الجامع الأزهر(٣)، وفى مدارس أخرى أنشئت لتعزيزه ومنافسته في حركته المذهبية والعلمية الجديدة، وقد كان لها ذلك–ولله الحمد والمنة–(٤).

وفى العصر المملوكي بمصر اتجهت همة السلاطين من المماليك إلى إعمار الجامع الأزهر، وإسباغ الرعاية على علمائه وطلابه بالمنح والهبات والأوقاف ،

---

(١)الذي وضعه النعمان بن محمد القيرواني, قاضي المعز لدين الله وكان يتولى قراءته وتدريسه بالأزهر ولده: (أبو الحسين علي بن النعمان) واستمرت قراءته مدى حين, على يد بني النعمان, المتعاقدين على قضاء مصر حتى نهاية القرن الرابع الهجري.

(٢) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة– محمد كامل الفقي– ج١ص٣٥باختصار– مرجع سابق

(٣) لما ولي صلاح الدين الأيوبي، قلد وظيفة القضاء صدر الدين بن درباس، فعمل بمقتضى مذهبه، وهو امتناع إقامة خطبتين في بلد واحد، كما هو مذهب الشافعي –رضي الله عنه، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر، وأقرها بالجامع الحاكمي لكونه أوسع، فلم يزل الجامع الأزهر معطلا من إقامة الخطبة فيه إلى أيام الظاهر بيبرس، فتحدث في إعادتها فيه، فامتنع قاضي القضاة ابن بنت الأعز وصمم، فولى السلطان قاضيا حنفيا، فأذن في إعادتها فأعيدت. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي –ج٢ص٢٥٢– تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم– الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م– دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر.

(٤) الأزهر في ألف عام–د/محمد عبد المنعم خفاجي–ج٣ص٢٢١–الطبعة الثانية–عالم الكتب–بيروت.

وأتيح للأزهريين المشاركة في النهضة العلمية والاجتماعية والثقافية في الدولة(١).

إنشاء منصب شيخ الأزهر:

استحدث منصب (شيخ الأزهر) في عهد الدولة العثمانية في أواخر القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) بعد تزايد أعباء الجامع الأزهر لكثرة المترددين عليه، فكان هذا المنصب ليقوم صاحبه بالإشراف علي الأزهر وتنظيم شئونه (٢).

ثم جاءت الحملة الفرنسية على مصر سنة (١٧٩٨م) ، وفيما يخص الأزهر أدرك نابليون بونابرت قائد الحملة مدى أهمية الأزهر ، وقوة تأثير شيوخه في نفوس الشعب المصري ، فقدر نابليون هذه الزعامة الروحية لعلماء الأزهر, واتخذ منهم سبيلا للتفاهم مع الشعب, فحينما أنشأ نابليون (ديوان القاهرة) – مركزا للشورى وتبادل الرأى– ضم إلى عضويته عددا من علماء الأزهر(٣).، لكن هذا لم يغن عنه شيئا؛ فقد أدرك الشعب المصري أن السياسة الفرنسية سياسة خداع وتخدير، فثاروا على نابليون وقواده أكثر من ثورة، وشاركهم الأزهريون أنفسهم في ثوراتهم بل كانوا في مقدمة الثائرين. (٤).

---

(١) الأزهر في ألف عام–د/محمد عبد المنعم خفاجي–ج٣ص٢٢١– مرجع سابق.

(٢) تاريخ الجامع الأزهر– محمد عبد الله عنان–ص٢٠٧وما بعدها–ط٢–مؤسسة الخانجي١٩٥٨م.

(٣) وهم: الشيخ: عبد الله الشرقاوي, والشيخ: خليل البكري, والشيخ: مصطفى الصاوي, والشيخ: سليمان الفيومي, والشيخ: محمد المهدي, والشيخ: موسى السرسي, والشيخ: مصطفى الدمنهوري, والشيخ: أحمد العريشي, والشيخ: يوسف الشبراخيتي, والشيخ: محمد الدواخلي.

(٤) ينظر: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة– محمد كامل الفقي– ج١ص٤٧– مرجع سابق

ولما استقر الأمر لدولة (محمد على الكبير) ، استعان بالأزهر في نهضته, واعتمد عليه في تحقيق غايته, وبلوغ رسالته, فاستمد من الأزهر البعوث العلمية التي أرسلها إلى أوروبا، ومن الأزهر استمدت المدارس التي أنشأها لتحقيق أسباب النهضة، وأبناء الأزهر هم الذين ألفوا الكتب في العلوم الحديثة, ونقلوا من علوم الغرب وثقافاته ما لا عهد لنا به من قبل, فأزهرت بهم الحياة الأدبية والعلمية والاجتماعية في شتى ألوانها، وكانوا القبس الذي اشتعل منه المصباح الذي بدد ظلمات الجهل, وأنار سبل العلم(١).

وحتى ذلك التاريخ كان التعليم في الأزهر قائما على الاختيار الحر، بحيث يختار الطالب أستاذه، والمادة التي يقوم بتدريسها ، أو الكتاب الذى يقرأه لطلابه ، ويعرض نصوصه نصًا نصًا ، فإذا أتم الطالب حفظه من علم الأستاذ، وأنس من نفسه التجويد تقدم لأستاذه ليمتحنه مشافهة، فإذا أظهر استيعابا ونبوغا منحه الأستاذ إجازة علمية مكتوبة، وكانت هذه الإجازة كافية لصلاحه بأن يشتغل بالتدريس في المدارس، أو في المساجد، أو في جامع الأزهر نفسه، وظل العمل على ذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث استعيض عنه بنظام التعليم الحالي.

<u>تنظيم العمل بالأزهر(٢).</u>

استصدرت بعض القوانين لتنظيم العمل بالأزهر الشريف وأول هذه القوانين قانونا القرن التاسع عشر: أولهما في سنة (١٨٧٢م) ينظم طريقة الحصول على العالمية وموادها، وثانيهما فى سنة (١٨٨٥م) ، وأهم ما تناوله: تحديد

---

(١) ينظر: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة– محمد كامل الفقي– ج١ص٤٤–٤٥– مرجع سابق

(٢) ينظر عن هذا: الأزهر في قرن– د/ماجدة علي صالح–ص٢٧٤–٢٧٦ –بدون تفاصيل.

صفة من يتصدى لمهنة التدريس في جامع الأزهر بحيث يكون قد انتهى من دراسة أمهات الكتب فأتقن أحد عشر فنا، واجتاز فيها امتحانا ترضى عنه لجنة من ستة علماء يرأسهم شيخ الأزهر.

وفى بداية القرن العشرين استصدر قانون سنة (١٩٠٨م) وفيه تم تأليف مجلس عال لإدارة الأزهر برئاسة شيخ الأزهر وعضوية كل من مفتى الديار المصرية، وشيوخ بعض المذاهب الفقهية، واثنين من الموظفين، وفيه أيضا تقسيم الدراسة لثلاث مراحل: أولية وثانوية وعالية، ومدة التعليم في كل منها أربع سنوات، يمنح الطالب الناجح في كل مرحلة شهادة المرحلة.

ثم تلاه القانون رقم ١٠ لسنة (١٩١١م) وفيه تحديد اختصاص شيخ الأزهر ، وإنشاء مجلس الأزهر الأعلى، وتنظيم هيئة كبار العلماء ونظام التوظيف بالأزهر، وإثر صدور هذا القانون لوحظ إقبال المصريين على الأزهر، وأنشئت عدة معاهد في عواصم المدن المصرية.

ثم أعد مشروع القانون رقم ٤٩ لسنة (١٩٣٠م) (١) ويجمع الرأي على أن هذا القانون مثّل خطوة موفقة لإصلاح الأزهر ومكنه من مسايرة التقدم العلمي والثقافي والمعرفي، وفي هذا القانون حددت مراحل التعليم أربعة مراحل:

ابتدائية لمدة أربع سنوات، وثانوية لمدة خمس سنوات، وثلاث كليات للشريعة الإسلامية، وأصول الدين، واللغة العربية، مدة الدراسة بكل منها أربع سنوات، ثم تخصص مهني مدته سنتان في القضاء الشرعي والإفتاء، وفى الوعظ والإرشاد، وفى التدريس ثم تخصص المادة لمدة خمس سنوات تؤهل الناجح للحصول على العالمية مع درجة أستاذ، ويعد هذا القانون الذى أنشأت

---

(١) كان ذلك في عهد المشيخة الأولى للشيخ محمد مصطفى المراغى، لكنه أصدر رسميا فى عهد مشيخة الشيخ محمد الأحمدى الظواهري.

بمقتضاه الكليات الثلاث، والتخصصات المدنية والعلمية، هو الإرهاص لميلاد جامعة الأزهر القائمة الآن بمقتضى القانون ١٠٣ لسنة (١٩٦١ م).

وصارت جامعة الأزهر هيئة من هيئات الأزهر الشريف تختص بالتعليم العالي بالأزهر، إلى جانب هيئات أخرى للتعليم قبل المرحلة الجامعية الأولى، وأخرى للمجلس الأعلى للأزهر وثالثة لمجمع البحوث الإسلامية الذى يختص بنشر الثقافة الإسلامية وتجلية التراث وتنقيته من الشوائب التي علقت به وبشئون الدعوة والوفود الطلابية من الخارج.

وبصدور القانون الأخير رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م فقد تحول النظام التعليمي إلى النظم التعليمية الحديثة، وتوسع الأزهر في نوعيات وتخصصات التعليم والبحث العلمي للبنين والبنات على السواء، وضم إلى الكليات الشرعية والعربية كليات للطب وطب الأسنان والصيدلة والعلوم والتربية والهندسة، واللغات والترجمة ويتلقى طلابها قدرا لا بأس به في العلوم الدينية، لتحقيق المعادلة الدراسية بينهم وبين نظرائهم في الكليات الأخرى.

كانت هذه نظرة تاريخية عابرة على الأزهر الشريف منذ إنشائه وحتى العصر الحاضر تبين من خلالها مدى سمو مكانة الأزهر في العصور المختلفة، ومدى التطور الكبير في هذه المؤسسة العريقة لتواكب مستجدات الحياة، وتلائم روح العصر مع الحفاظ على القيم الأصيلة للدين الإسلامي الحنيف.

المبحث الثاني

تاريخ الاستشراق ودوافعه

النشأة والبداية

اختلفت الآراء حول البداية الحقيقية للاستشراق حيث لا يعرف علي وجه اليقين من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك.

ولعل البداية الفعلية للاستشراق كانت في الأندلس حيث بدأ اطلاع الغربيين على حضارة الإسلام وعلومه المختلفة حيث إنه من الثابت والمؤكد "أن بعض الرهبان الغربيين(١) قصدوا الأندلس في أوج عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة المسلمين ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصيلة للدراسة قرابة ستة قرون"(٢).

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في احتلال العالم الإسلامي، والاستيلاء على

---

(١) من هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي (جربرت) Jerbert الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، و (بطرس المحترم ١٠٩٢ ١١٥٦م Pierrele Venere) و (جيرار دي كريمون ١١١٤ ١١٨٧م Gerardde Gremone).

(٢) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم-د/مصطفى السباعي-ص١٧باختصار وتصرف يسير-بدون تفاصيل للطبعة- المكتب الإسلامي.

ممتلكاته، فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويصدرون لذلك المجلات ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية فيشترونها من أصحابها، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلداً.

دوافع الاستشراق(١):

تتعدد دوافع الاستشراق، وإن كانت في النهاية تتفق في غرضها، ومن أهم هذه الدوافع:

١- الدافع الديني: لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني، فقد بدأ بالرهبان كما ذكرنا، وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه، ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن

---

(١) ينظر عن هذه الدوافع: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم-د/مصطفى السباعي-ص٢٠-مرجع سابق، نشأة الاستشراق، مراحله ودوافع المستشرقين- د/أحمد عبد العزيز الحصين- ص١١١-١٧٣- مرجع سابق، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية- فالح بن محمد بن فالح الصغير-ص١٤-٢٠- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

رجال الدين عندهم فيما مضى فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام، وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية.

وهنالك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي، والحضارة الإسلامية، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.

٢- الدافع الاحتلالي: بعد الهزائم المتتالية لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة، وعادات، وأخلاق، وثروات ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق أضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية، والمبادئ العقدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة.

فشجعوا في بلاد المسلمين القوميات التاريخية التي عفا عليها الزمن واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام، فتوحدت لغتهم، وعقيدتهم، وبلادهم، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط

إنسانية، وتاريخية، وثقافية، ازدادوا بها قوة، وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية، إنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، والآشورية في العراق وهكذا، ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعوقوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا، وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة، والتقائنا مع إخوتنا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة.

٣- الدافع الاقتصادي: ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، ولقتل صناعاتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين.

يتضح ذلك في أن الدول الغربية بعد أن تعرفت على العالم الإسلامي وما فيه من ثروات، أرادت أن تقيم مع المسلمين نوعا آخر من العلاقات التي تخدم مصالح الغربيين من خلال الاستيلاء على هذه الثروات بطرق عدة، وبالتالي تسهل عليهم حركة التطور العلمي والتقني، وتترك المسلمين يعانون الفقر والعوز.

وكان من نتائج ذلك أن معظم أموال المسلمين ومصالحهم صارت بأيدي الغربيين، فكثير من أغنياء المسلمين وأصحاب الثروات الكبيرة فيهم، يودعون أموالهم وأسهمهم في بنوك الغربيين، حيث لا يصل إليهم من هذه البنوك إلا النزر اليسير من الأرباح، أما الغربيون فيربحون من وراء هذه الأرصدة الشئ الكثير، وإذا صارت هناك مشكلات بين هذه الدول الغربية والدول الإسلامية ربما تؤدي بتلك الأموال المودعة إلى التجميد أو إلى الاستيلاء عليها، وكل

ذلك ثمرة واضحة لمخططات المستشرقين مع دولهم الاستعمارية لنهب ثروات الأمة الإسلامية بشتى السبل والوسائل.

٤- الدافع السياسي: وهنالك دافع آخر يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية؛ ليتمكن من الاتصال برجال الفكر، والصحافة، والسياسة، فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات ما تريده دولته، وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول الإسلامية، بحجة توجيه النصح، وإسداء المعونة، ونحمد الله على أن هذا النوع من الاستشراق قد بدأ يفقد أثره منذ آمنت الشعوب العربية والإسلامية بسياسة الحياد وعدم الانحياز وأصبحت هذه السياسة شعاراً صريحاً لكثير من الحكومات العربية والإسلامية، وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية.

٥- الدافع العلمي: وهذا الدافع يمثله نفر قليل جداً من المستشرقين أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم، وأديانها ، وثقافاتها ، ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته، على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجاً لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين.

المبحث الثالث

جهود الأزهر الشريف في نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام

لم يقف الأزهر الشريف موقف المتفرج أمام الخطاب الاستشراقي غير المنصف حول الإسلام، بل كانت له مواقف وجهود مشكورة، فما إن أطل الخطاب الاستشراقي برأسه يثير الشبهات حول الإسلام، حتى هب علماء الأزهر ورجاله المخلصون يبينون زيف هذا الخطاب، ويجابهونه بالحجة والبرهان، وينقدونه نقدا علميا، وكان ذلك في صور عديدة منها:

أ- تأليف الكتب

ألف علماء الأزهر الشريف كتبا عدة تفند مزاعم الخطاب الاستشراقي المعادي للإسلام، ومن أهم هذه الكتب ما يأتي:

١- (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) (١)

وهذا الكتاب في أصلُه رسالةٌ علميَّةٌ مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الفقه والأصول وتاريخ التشريع الإسلامي من كلية الشريعة في الجامع الأزهر عام(١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م).

عرف فيه مؤلفه أولًا بنشأة الاستشراق، ثم بين أغراض المستشرقين ودوافعهم بيانا مختصرًا، وناقش المؤلف شبهات بعض المستشرقين(٢) ومن تأثر بهم من بعض الباحثين العرب حول السنة النبوية المطهرة.

---

(١) للدكتور: مصطفي السباعي- رحمه الله-

(٢) حيث عرض المؤلف لشبهات المستشرق اليهودي المجري جولد تسهير، ونقلها بواسطة كتاب (نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي) لأستاذه في الأزهر الدكتور علي حسن عبد القادر، وبواسطة مسودة نقلها المؤلف عن أستاذه المذكور في الدرس. مع تنويه الدكتور السباعي بأنه إنما يناقش الخطوط العامة لمباحث جولد تسيهر، والأفكار الرئيسية التي ناقش فيها المؤلف بحوث جولد تسهير ثلاث عشرة فكرة، وقد استطرد في مناقشة شبهاته حول الإمام الزهري. وبالجملة؛ استغرقت مناقشة المؤلف لشبهات جولد

٢- الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي(١).

حيث عرض فيه مؤلفه لأهم شبهات المستشرقين حول الإسلام وفندها تفنيدا علميا معتمدا علي العقل والمنطق.

٣- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري(٢).

أثبت فيه مؤلفه أن الاستشراق في حقيقة الأمر كان ولا يزال جزءاً لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع، حيث كان للاستشراق من غير شك أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام، وقد تناول الفصل الثاني من الكتاب مواقف المستشرقين بإيجابياتها وسلبياتها.

إلى غير ذلك من الكتب التي ألفها علماء الأزهر لرصد الفكر الاستشراقي ونقده نقدا علميا.

ب- تدريس مادة الاستشراق بالأزهر الشريف

مما يؤكد وسطية المنهج الأزهري دراسته جميع الأفكار والاتجاهات ومناقشتها مناقشة علمية دون حجر أو تضييق، وهذا أبلغ رد على الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الأزهر الشريف ومناهجه من حين لآخر، ويوقد نارها من لا يعرف تاريخ الأزهر العريق.

وعلى هذا الأساس كان الأزهر سباقا لتدريس مادة الاستشراق لأبنائه الطلاب في كليات أصول الدين، والدراسات الإسلامية حتى يعرفوا كنه هذا الخطاب ويميزوا الحق من الباطل فيه، وبالتالي يكونون مؤهلين للرد على الشبهات

تسهير حوالي أربعين صفحة، نقد فيها آراء هذا المستشرق نقدا علميا وبين بطلان دعواه جملة وتفصيلا.

(١) للدكتور: عبدالعظيم المطعني- رحمه الله-

(٢) للدكتور: محمود حمدي زقزوق

المثارة حول الإسلام حينما يتخرجون من الأزهر، ويعملون في مجال الدعوة إلى الله تعالى سواء في الداخل أو الخارج.

ج- إتاحة الفرصة لبعض المستشرقين للدراسة في الأزهر

وفي هذا الإطار وجدنا الأزهر الشريف يتيح الفرصة لبعض المستشرقين لينهلوا من علومه ويعرفوا الإسلام عن قرب، وفي هذا سبر لأغوار هذا الفكر الاستشراقي من مصادره الأصيلة ومعرفة لمناهج هؤلاء المستشرقين وطرائق تفكيرهم، وتصورهم عن الإسلام، وبناء على ذلك سلوك السبيل الأمثل لنقد هذا الخطاب الاستشراقي بموضوعية بعيدا عن التهويل والتهوين.

ومن هؤلاء المستشرقين الذين درسوا في الأزهر:

١- المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: (مستشرق فرنسي كبير، وقد جاء مصر سنة (١٩٠٩م)، وحضر دروسا في الأزهر وكان يلبس الزي الأزهري، ولما طلب إلى بعض المستشرقين(١) القيام بالتدريس في الجامعة المصرية القديمة التي أنشئت سنة (١٩١٠م)، اعتذروا وأوصوا بالأستاذ ماسينيون لهذا المنصب، فدعي وألقى أربعين محاضرة باللغة العربية على طلاب الجامعة المصرية القديمة، وكان منهم الدكتور طه حسين. وله عدة مؤلفات مهمة في التصوف الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، وتوفي سنة ١٩٦٢م(٢).

٢- عبد الكريم جرمانوس: وهو مستشرق مجري من أعلام المستشرقين الكبار في القرن العشرين، نشأ مسيحيا، ثم درس الأديان، وأسلم، وأتقن عددا من اللغات وهي: المجرية والإنجليزية، والتركية، والعربية، والألمانية، والفرنسية. وقد جاء إلى مصر ليدرس اللغة العربية والإسلام بالأزهر الشريف، وهو ما تم فعلا، ورغم كبر سنه على التعليم آنذاك فقد صمد وصبر حتى خالط

---

(١) مثل: جولدتسيهر واسنوك هورخرونيه.

(٢) ينظر: المستشرقون د/نجيب العقيقي – ج١ص٢٨٧–الطبعة الثالثة– دار المعارف.

كبار علماء الأزهر، وتعلم على أيديهم(١)، وأصبح عضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية بمصر، وبالمجامع العلمية الأخرى في الشرق العربي كمجمع دمشق، وبغداد(٢).

د- ذهاب بعض علماء الأزهر لتعليم الغربيين

تتجلى عالمية الأزهر الشريف، في العديد من الجوانب أهمها الانفتاح على الحضارات الأخرى لتحقيق الاستفادة والتبادل العلمي في شتى مناحي العلوم الحديثة، فمنذ نشأته التي تزيد علي الألف عام جسد علماء ومشايخ الأزهر الواقع العملي للتبادل الثقافي والحضاري مع مختلف ثقافات وحضارات العالم؛ فلولا الأزهر وشيوخه ما تعرف الغرب على وسطية الإسلام وحضارة المسلمين الممتدة لما يربو علي الأربعة عشر قرناً.

وفى السطور التالية نلقى الضوء على واحد من أبناء الأزهر الشريف، الذين تربوا فيه، ونهلوا من علمه، ودرسوا على مشايخه، ثم حملوا هذا العلم للعالم الغربي مما كان له دور كبير في نقد الخطاب الاستشراقي ونشر الإسلام وهو: الشيخ محمد عياد الطنطاوي(٣) الذى حمل منذ ما يزيد عن المائة وخمسين عاماً راية نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية فى روسيا، وكان أول عربي

(١) من أبرز هؤلاء: محمد عبد اللطيف دراز، وعلي سرور الزنكلوني، ومحمد أحمد عرفة، ومحمد بخيت المطيعي.

(٢) المستشرقون د/نجيب العقيقي ج٣ص٩١٠-٩١٢-مرجع سابق.

(٣) هو الشيخ محمد بن عياد بن سعد بن سليمان الشافعي؛ المولود (عام ١٨١٠ م) فى قرية نجريد التابعة لمركز طنطا - التي أخذ منها لقبه - بمحافظة الغربية، وعندما بلغ عامه السادس تردد على كُتاب القرية، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم أرسله والده إلى الجامع الأحمدي بطنطا حيث حفظ هناك على يد الشيخ محمد الكومى، والشيخ محمد أبوالنجا، والشيخ مصطفى القناوي متوناً كثيرة مثل: متن (المنهج فى علم الفقه)، و(ألفية ابن مالك)؛ قبل أن يبدأ فى دراسة الشروح والتعاليق على المتون، وفى بداية دراسته بطنطا

تأثر بالشيخ مصطفى القناوي، شيخ الجامع الأحمدي – آنذاك – والذى أعجب بنبوغه وقدرته الفائقة على تحصيل العلوم الشرعية فأعطاه إجازة في تدريس الحديث من الكتب الستة؛ بالإضافة إلى موطأ الإمام مالك، وعندما بلغ الثالثة عشر من عمره انتقل إلى القاهرة؛ ليبدأ دراسته بالجامع الأزهر الشريف، وتلقى العلم من كبار العلماء أمثال: الشيخ (حسن العطار)، والشيخ (محمد بن أحمد البيجوري)، والشيخ (برهان الدين إبراهيم السقا).

وبعد أن أنهى دراسته بالأزهر الشريف بدأ الشيخ عياد الطنطاوي في تدريس علوم تفسير القرآن والمنطق بالجامع الأزهر، ولأنه كان مولعاً بعلوم اللغة العربية وآدابها منذ الصغر، فقد انتقل إلى تدريس الشرح والتعليق على كتب الشعر والأدب، وفى غضون شهور قليلة ذاع صيته فى هذا المضمار وأصبح سيده بلا منازع، وبسبب ضيق ذات اليد اضطر إلى العمل – بجانب التدريس بالأزهر – فى المدرسة الإنجليزية بالقاهرة؛ حيث عمل على تعليم اللغة العربية للأجانب الذين وفدوا إلى مصر بدعوة من محمد على باشا، للعمل بمختلف وظائف الدولة وبغرض إثراء الحركة العلمية التى بدأها فى عصره، وقد كان اتجاه الشيخ عياد الطنطاوي، إلى تعليم اللغة العربية للأجانب بالمدرسة الإنجليزية بالقاهرة؛ سبباً مباشراً فى تغيير مسار حياته فقد كان من تلاميذه المقربين المستشرقين الروسيين(موخين) و(فرين)اللذين عادا إلى موسكو عقب تخرجهما للعمل بالقسم التعليمى التابع لوزارة الخارجية الروسية، وذات يوم ترك البروفسيور (يوليان) معلم اللغة العربية بهذا القسم عمله؛ فأرسل وزير الخارجية الروسي – آنذاك – السيد(نيسيلرودى) برقية عاجلة إلى قنصله العام في الإسكندرية (الكونت ميديم)يطلب منه البحث عن معلم ضليع فى قواعد العربية والشريعة الإسلامية ليدرس في قسم اللغات الشرقية فى الوزارة، فما كان من الأخير إلا أن رشح الشيخ الطنطاوي للقيام بهذه المهمة، وعلى الفور وافق وزير الخارجية الروسي على هذا الاختيار عقب تزكية وثناء من تلميذى الشيخ(موخين) و(فرين)، وهو ما دعا محمد على باشا عند علمه بهذا الأمر إلى الاجتماع بـ(الطنطاوي) وحثه على تعلم اللغة الروسية وإتقانها حتى يكون خير رسول للأزهر ومصر فى بلاد الروس.

غادر الشيخ عياد الطنطاوي، القاهرة فى مارس عام(١٨٤٠ م) وكان يبلغ من العمر آنذاك ثلاثين عاماً – متوجهاً إلى بطرسبورج العاصمة الروسية آنذاك، التي وصل إليها فى مايو من العام ذاته.

يعين بمرسوم ملكي أستاذاً للغة العربية بجامعة بطرسبورج ومستشاراً للدولة

ترك الشيخ عياد الطنطاوي، تراثاً زاخراً من الكتب والمؤلفات، أشهرها(تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا) ، والذى يعد أهم مؤلفاته، وينقسم إلى جزءين، أولهما: (رواية الرحلة وأخبارها من القاهرة إلى سانت بطرس بورج)، والجزء الثانى يتناول فيه (كل ما شاهده وعاشه خلال وجوده فى روسيا)؛ كما ألف كتاباً لا يقل أهمية عن المؤلف السابق، وهو(أحسن النخب فى معرفة لسان العرب)، وكتبه باللغة الفرنسية وقد أكسبه هذا الكتاب شهرة واسعة فى كل دول أوروبا.

وللشيخ الطنطاوى، أيضاً العديد من المؤلفات والتراجم منها: (ترجمة تاريخ روسيا الصغير) لـ(أوسترالوف)، و(قاموس عربي فرنسي) طبع فى قازان عام(١٨٤٩ م) و(ملاحظات فى تاريخ الخلافة والشرق الإسلامي)، و(قواعد اللغة العربية) وهو مكتوب بالروسية، ومجموعة أمثال عربية مترجمة للروسية، وثلاث مقالات باللغة الفرنسية؛ بالإضافة إلى مجموعة من المصنفات الخاصة فى العقائد، وقواعد اللغة، والبلاغة، والعروض والقوافي، والجبر والميراث والحساب، وأسماء الناس والخيل الأصيلة وتدبيج الشروح والحواشي على مصنفات غيره.

وفى سبتمبر من عام(١٨٥٥م) ؛ أصيب الشيخ عياد الطنطاوي، بشلل في أطرافه السفلى، وسرعان ما امتد إلى يديه، ومع ذلك فقد ظل يعمل لمدة ست سنوات بعد إصابته بهذا المرض، متغلباً على صعوبة الحركة ومتحدياً ما كان يواجهه من مشاق، وفى ٣١ يناير عام(١٨٦١ م) ، أعفى من العمل بعد أن تمكن المرض من جسده النحيل.

وفى ٢٩ أكتوبر من عام(١٨٦١ م) ، لفظ أنفاسه الأخيرة، وورى الثرى بمقبرة (فولكوفو)الإسلامية بمدينة (سانت بطرس بورج)، وكتب على شاهد قبره :(هذا مرقد الشيخ العالم محمد عياد الطنطاوي – كان مدرس العربية فى المدرسة الكبيرة الإمبراطورية بسانت بطرس بورغ المحروسة)

ينظر: الشيخ عياد الطنطاوي أزهري علم الغرب لسان العرب– مقال بجريدة صوت الأزهر ٢٠١٧/٩/٩م، المستشرقون–د/نجيب العقيقي–ج٣ص٩٣٠– جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة– سليمان بن محمد الجار الله–ص٩– مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

الروسية، ومشرفاً على الاحتفالات الملكية، ويُمنح تقديراً لجهوده أعلى وسامين ملكيين هناك ؛ وبمجرد وصول الشيخ إلى بطرسبورج العاصمة الروسية آنذاك، في مايو (١٨٤٠م) احتفت بمقدمه الصحافة والدوائر العلمية والفكرية والاستشراقية الروسية، واعتبرت مجيئه بمثابة حدث ثقافي وعلمي مهم، ولم تكن هذه الحفاوة محض صدفة؛ فقد كان اسم الشيخ الطنطاوي في ذلك الوقت معروفاً لدى غالبية المستشرقين والرحالة الأوروبيين.

وقوبلت حفاوة استقبال رجال الفكر والأدب والصحافة والاستشراق الروسي للشيخ الطنطاوي؛ بحفاوة استقبال أخرى هي الأهم وذلك حين أصدر القيصر الروسي(١) مرسوماً في الثاني من يوليو عام (١٨٤٠م)، بتعيين الطنطاوي مستشار دولة ومشرفاً على الاحتفالات الملكية، بجانب عمله الأساسي كأستاذ للغة العربية في القسم التدريسي بالدائرة الآسيوية لوزارة الخارجية الروسية، وهكذا صار الشيخ الأزهري الذى ينتمى إلى طائفة علماء التنوير المسلمين يؤدى مهام عمله الجديد بصفته موظفاً في جهاز الدولة الروسية، وعضواً في طبقة النبلاء، وأحد المقربين من البلاط القيصري الروسي.

وفى عام (١٨٤٧م) ميلادية، عُين الشيخ عياد الطنطاوي أستاذاً بكلية اللغات الشرقية في جامعة بطرسبورج بعدما أصبح يتقن اللغة الروسية كأي مواطن روسي، بجانب إتقانه اللغات الفرنسية والفارسية والتركية والتترية، وظل يعمل بالتدريس بالإضافة إلى كونه مستشار دولة ومشرفاً على الاحتفالات الملكية حتى نهاية عمره، ولم يغادر روسيا منذ قدومه إليها إلا مرة واحدة عام (١٨٤٤م)، حيث عاد إلى مصر في زيارة قصيرة إلى القاهرة وطنطا، اهتم

---

(١) نيقولاي الأول

خلالها بجمع المخطوطات الشرقية، واصطحب معه زوجته وابنه عائداً مرة أخرى إلى بلاد الروس.

كان للشيخ الطنطاوي خلال سنوات تدريسه بجامعة سانت بطرسبورج أثر كبير في حركة الاستشراق الروسي، حيث جمع الشيخ بين الطرق العملية والنظرية، فقد كان يدرس قواعد اللغة ويشرح أمثال لقمان، ويقرأ قطعاً من مؤلفات تاريخية، ومن مقامات الحريري؛ كما كان يدرس الترجمة من الروسية إلى العربية، والخطوط الشرقية، وقراءة المخطوطات، والمحادثة باللغة العربية، وزاد على ذلك أن أدخل عام (١٨٥٥ م)، ولأول مرة في تاريخ كلية اللغات الشرقية تدريس تاريخ العرب؛ كما لعب دوراً مهما في إرساء حركة الاستشراق بروسيا، ووضع اللبنات المبكرة للحوار الثقافي (العربي – الروسي)، ولعل أدق وصف للتأثير الذى أحدثه الطنطاوي داخل المجتمع الروسي هو ما كتبه أحد المستشرقين الروس(١) حيث كتب واصفاً الشيخ الطنطاوي بالقول: (شخصية متفردة وغير متكررة في تاريخ الاستشراق الروسي والأدب العربي الحديث)

كما وصفه الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، قائلاً :"هو أزهري مشهور في مدينة بطرسبورج الروسية حتى الآن بأنه هو الذى غزا باللغة العربية، وبركاته موجودة هناك حتى الآن، حيث نجد الاستشراق الروسي قويا جداً في اللغة العربية، وقد لمست هذا بنفسي في زيارة لجامعة بطرسبورج ووجدت المستشرقين كأنهم عرب"

ولم يتوقف أثر الشيخ عياد الطنطاوي، على ما سبق ذكره، فقد أسهم في نقل علوم الحضارة العربية والإسلامية إلى روسيا، كما كان حلقة الوصل بين

---

(١) المستشرق الروسي الكبير (أغناطيوس كراتشكوفسكي) في مؤلفه (حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي)

المستشرقين الروس وبعض الكتاب المصريين(١) إضافة إلى إعداده مجموعة من المخطوطات الشرقية بلغ عددها (٣٠٠) مخطوطة، تتناول موضوعات في تاريخ الإسلام، والطب، والأخلاق، والفلسفة، والدين، واللغة العربية، والعروض، واللهجة المصرية العامية، ونظراً لهذه الجهود ودوره الملموس في نقل علوم اللغة وتعليم لسان العرب إلى الطلاب الروس وتميزهم في آليات ومناهج البحث باللغة العربية؛ قلده القيصر الروسي وسامي(ستانيسلان)و(القديسة حنة)، كما منحه خاتم مرصع بالألماس باهظ الثمن.

ولشدة تأثير الشيخ لم يتوقف احتفاء الحكومات الروسية المتعاقبة منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن، بالشيخ عياد الطنطاوي، فمؤخراً دشنت الحكومة الروسية الحالية مشروعاً علمياً يهدف إلى ميكنة مؤلفات ومخطوطات الشيخ الطنطاوي وإعدادها إلكترونيا لكى تكون في متناول الدارسين لتراث الشيخ الجليل.

كما نظمت جامعة سانت بطرسبورج الروسية، فى الفترة من ٢ وحتى ٣ نوفمبر من العام (٢٠١٠م)، مؤتمراً علمياً دولياً احتفاء بالمئوية الثانية لميلاد الشيخ عياد الطنطاوي، وأصدرت كتاباً من(٣٠١) صفحة، تضمن جميع الأبحاث التي تناولت سيرة الشيخ الراحل ونوقشت في المؤتمر، وكتب على غلافه إهداء إلى الشيخ الطنطاوي، وعنوانا فرعياً يحمل اسم(روسيا والعالم العربي).

---

(١) مثل: أحمد تيمور ومحيي الدين الخطيب وغيرهما. ينظر: الاستشراق الروسي دراسة تاريخية شاملة- د/ محمود الساموك- ص١٠٨-الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. دار المناهج -عمان- الأردن.

وفى مارس من العام (٢٠١٦م)، أقامت المؤسسة المصرية الروسية للثقافة والعلوم، احتفالاً شعبياً إحياء لذكرى مرور(١٥٥) عاماً على وفاة الشيخ عياد الطنطاوي.

هـ- اللقاء المباشر بين علماء الأزهر وبعض المستشرقين

لم يكتف علماء الأزهر بتأليف الكتب في نقد الخطاب الاستشراقي بل التقى كثير منهم مع بعض المستشرقين وجها لوجه في عقر دارهم (١) وأقام الحجة عليهم، مما دعا بعضهم للاقتناع بعد أن كان يرى كلام أسلافه من المسلمات والبديهيات!.

و- نقد كتابات تلامذة المستشرقين من المسلمين

لم يكن الأزهر الشريف لينقد خطاب المستشرقين حول الإسلام ويترك أبناء المسلمين الذين تتلمذوا على أيديهم، وتربوا على موائدهم، وتأثروا بهم؛ فهؤلاء أشد خطرا من المستشرقين أنفسهم إذ إنهم يعيشون بيننا ويتكلمون بلغتنا، فتأثيرهم أشد، وسيوفهم أحد.

وقد وقف علماء الأزهر الشريف موقفا مشرفا من مثل هؤلاء ونقدوا كتاباتهم نقدا علميا وبينوا ما فيها من تغيير للحقائق، ومن ذلك:

١- في كتاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) آنف الذكر وفي الفصل السابع من الباب الثاني تحديدا ناقش مؤلفه شبهات بعض الكتاب(٢).

---

(١) من هؤلاء مثلا : د/ مصطفي السباعي الذي التقي عددا من المستشرقين في معظم بلاد أوربا ينظر عن هذه اللقاءات والمحاورات : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم-د/مصطفى السباعي-ص٦٥-٧٥-مرجع سابق.

(٢)الكاتب المصري الأستاذ/ احمد أمين في كتابه(فجر الإسلام)، ومحمود أبو رية في كتابه (أضواء على السنة المحمدية)، الذي قدّم له د/طه حسين، وهو الكتاب الشهير في الطعن في حجية السنة النبوية، وفي صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، سيما أبي هريرة رضي الله عنه.

المتأثرين بشبهات المستشرقين، وقدم أدلة واضحة على تبعيتهم وانبهارهم بأفكار المستشرقين حول السنة النبوية.

٢- اختلف الشيخ الخضر حسين مع الدكتور طه حسين عندما ألف كتابه (في الشعر الجاهلي)، ورأى أن الكتاب به انحراف خطير واتباع لأقوال المستشرق الإنجليزي مرجليوث وطعن في القرآن، ورد عليه بكتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي)، الذي قال فيه: "نهضت الأمم الشرقية فيما سلف نهضة اجتماعية ابتدأت بطلوع كوكب الإسلام، واستوثقت حين سارت هدايته سيرها الحثيث، وفتحت عيون هذه الأمم في طريقة الحياة المثلي، سادت هذه النهضة وكان لها الأثر الأعلى في الأفكار والهمم والآداب ومن فروعها نهضة أدبية لغوية، جعلت تأخذ مظاهرها العلمية لعهد بني أمية، واستوت على سوقها في أيام بني العباس وتمتع الشرق بنهضته الاجتماعية والأدبية حقبًا، ثم وقف التعليم عند غاية، وأخذ شأنًا غير الشأن الذي تسمو به المدارك وتنمو به العقول، فإذا غفوة تدب إلى جفون هذه الأمم ولم تكد تستفيق منها إلا ويد أجنبية تقبض على زمامها والتفت الشرق إلى ما كان في يده من حكمة، وإلى ما شاد من مجد، وإلى من شب في مهده من أعاظم الرجال، أخذ ينظر إلى ماضيه ليميز أبناؤه بين ما هو تراث آبائهم وبين ما يقتبسونه من الغرب، ويشعروا بما كان لهم من مجد شامخ، فتأخذهم العزة إلى أن يضموا إلى التالد طريفًا، وليذكروا أنهم ذرية أولئك السراة، فلا يرضوا أن يكونوا للمستبدين عبيدا"(١).

ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب في الرد على كتاب (في الشعر الجاهلي) وأقواها حجة.

---

(١) نقض كتاب في الشعر الجاهلي- الشيخ/ محمد الخضر حسين-ص١٠-مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

ز- ابتعاث بعض أبناء الأزهر للدراسة في الغرب

وهذه جعلت الاطلاع على أفكار المستشرقين عن قرب وقراءة إنتاجهم مباشرة دون احتياج لترجمة ربما تخطأ في المراد، فيكون النقد لهم أقوم والحجة عليهم ألزم، وقد رأينا نماذج كثيرة(١) لم تستهوهم المظاهر الخادعة في الغرب بل ظلوا أوفياء لدينهم، على الرغم من حصولهم على الدرجات العلمية من قلب جامعات أوربا ولم يكتفوا بذلك بل بينوا حقيقة هذا الخطاب الاستشراقي حول الإسلام من خلال ما ألفوا من كتب، وسجلوا من مواقف خالدة.

ح- استقبال الوافدين للدراسة في الأزهر

حيث يأتي هؤلاء الوافدون من شتى بقاع الأرض ثم يعودون إلى بلادهم محملين برسالة الأزهر السامية، ومتشبعين بالفهم الصحيح لهذا الدين بعيدا عن الإفراط والتفريط، وهذا يسهم في تصحيح الصورة التي رسمها المستشرقون للإسلام في الغرب حيث إن الدراسات الاستشراقية المختلفة تمثل الركن الأساسي والجانب الأهم فى نظرة الغرب إلى الإسلام، إذ تعتمد هذه الرؤية التي ما زالت أسيرة أفكار وتصورات خاطئة في غالب الأحيان على كتابات المستشرقين وآرائهم وبالتالي يتكون الموقف الغربي تجاه الإسلام.

ط- الاستعانة ببعض المستشرقين المنصفين

لم يكتف الأزهر الشريف بما سبق ذكره آنفا من جهد مشكور لعلمائه وباحثيه، بل كان للأزهر كمؤسسة دور بارز في هذا الأمر فقد استعان ببعض (٢).الذين أنصفوا الإسلام منهم قبل اعتناقه وكان لهم تأثير على الخطاب الاستشراقي "حيث دعتهم مشيخة الأزهر في ستينات القرن الماضي لإلقاء بعض الدروس

---

(١) من هؤلاء مثلا : د/ عبد الحليم محمود، د/ أحمد الطيب، د/ محمود حمدي زقزوق وغيرهم.

(٢) من هؤلاء دينيه، وليوبولد فايس، وجرمانوس وغيرهم.

الدينية علي طلاب الفرقة النهائية في معهد الإعداد والتوجيه قبل إيفادهم إلى الخارج للدعوة وقيادة المراكز الإسلامية هناك"(١).

ولم يتوقف هذا الأمر حتى عصرنا الحاضر فقد استضافت كلية اللغات والترجمة، بجامعة الأزهر الشريف يوم الأحد ٣٠/سبتمبر/٢٠١٨ محاضرة(٢) ناقشت ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب والتفسيرات الخاطئة للإسلام

وتحدث في المحاضرة أحد المستشرقين الأمريكيين(٣) عن ظاهرة الخوف وتصنيف الناس إلى مجموعات شبيهة ومخالفة بناء على الأنساق الثقافية، والعادة، والدين، واللون، وغيرها من الفروق الإنسانية، وتناول ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب وتوظيف الإعلام المسيس لبعض الصور والإيحاءات السلبية لأجندات خاصة في عملية ممنهجة لتشويه صورة العربي والمسلم ووصفه بالصفات السلبية وتجريده من الإنسانية خاصة من خلال استغلال أعمال بعض المتطرفين والإرهابيين الذين يتم إلصاق أعمالهم بالإسلام على خلاف الحقيقة، على الرغم من دعوة الإسلام الصريحة لقبول الاختلاف واحترام الآخر والحريات الدينية.

كما تحدث عن الاختلاف كأمر فطري في الخليقة ودور الجهل في تصنيف الناس إلى مجموعات نتيجة لنقص المعلومات والمعاشرة الحقيقية التي يمكن من خلالها بناء الصداقات عبر الثقافات والحضارات

---

(١) ينظر عن ذلك: نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة–د/علي النملة–ص٣٢– الطبعة الأولى١٤٣١هـ–٢٠١٠م.

(٢) ينظر عن ذلك الرابط التالي: https://www.elbalad.news/3510967

(٣) المستشرق الأمريكي كيلي جيمس كلارك أستاذ الفلسفة والأديان بجامعة جراند فالي ستيت، وصاحب المؤلفات العديدة عن الفلسفة والدين والحضارات.

وانطلاقًا من مسؤولية الأزهر التعليمية والدعوية في نشر الفكر الإسلامي الوسطي الذي تبناه طيلة أكثر من ألف عام نجد الأزهر الشريف في عام (٢٠١٩م) يشارك– للعام الثالث على التوالي – بجناحٍ خاصٍّ به في معرض القاهرة الدولي للكتاب.

وقد عمل الأزهر الشريف على إبراز الآراء الصحيحة المنصفة لبعض المستشرقين، وتسليط الضوء عليها لتصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام؛ حتى يكون الرد على الخطاب الاستشراقي المعادي للإسلام أكثر إقناعا، حيث قدم جناح الأزهر الشريف بمعرِض القاهرة الدوليّ للكتاب لزواره كتاب "الإسلام دين الإنسانية"(١).

---

(١) للمستشرقة الألمانية أنّاماري شميل، ترجمة د.صلاح عبد العزيز محجوب، من إصدارات هيئة كبار العلماء بالأزهر. وتندرج دراسة أنّاماري شيميل عن الإسلام، كما يذكر مترجم الكتاب، في إطار اهتمام المستشرقين بدراسة الإسلام بعيدًا عن وجهات نظرٍ أشاعها باحثون غربيون متحيزون. يُذكر أنّ أنّاماري شميل، ولدت عام ١٩٢٢م، وتعلمت اللغة العربية في الخامسة عشرة من عمرها، ودرست في جامعة برلين علوم العربية والإسلام، وحصلت على الدكتوراة تحت عنوان "دراسة عن مفهوم الحب في التصوف الإسلامي المبكر"، وعملت في التدريس في ألمانيا وأمريكا وعدد من جامعات العالم، وقد حصلت على العديد من الأوسمة من بينها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في مصر عام ١٩٩٦م، وتوفيت أناماري شميل في عام ٢٠٠٣م، وكتب على قبرها بالعربية والألمانية الأثر الإسلامي المشهور "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا."

وقد قسمت المؤلفة كتابها إلى ١٢ فصلًا، تتحدث فيها عن انتشار الإسلام وحال الجزيرة العربية قبل الإسلام، مفصلةً الحديث عن السنة النبوية والشريعة الإسلامية وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية والتصوف، في حين خصصت أناماري شميل أحد فصول الكتاب تحت عنوان "محمد رسول الله."

ويؤرخ الكتاب لبداية اهتمام الباحثين الغربيين الفعلي بدراسة الإسلام وحضارته على أساس علمي منهجي، فهي تبدأ الحديث عن نشأة الإسلام وانتشاره، وتُقدم رؤية صادقة عن

ي- مناقشة الرسائل العلمية حول الاستشراق

من الأساليب التي اعتمد عليها الأزهر الشريف في نقد الخطاب الاستشراقي مناقشة الأطروحات والرسائل العلمية حول الاستشراق، ومن تلك الرسائل:

١- (السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام.. مناقشتها والرد عليها)

وهي رسالة قدَّمها صاحبها(١) لنيل درجة الماجستير من قسم الحديث بكلية أصول الدين بالقاهرة

وفي الفصل الثاني من الباب الأول: تحدث الباحث عن أعداء السنة النبوية من المستشرقين، فعرَّف بهم وبين منهجهم، ثم تحدث عن الموقف من الاستشراق، وذكر أنه لا بد من الوقوف بحزم أمام هذه الطائفة، وتحصين الإسلام وأهله من أفكارهم، وأنه لا يجوز لأهل الإسلام الاعتماد على فهمهم للإسلام بحال

٢- (شبهات المستشرق إسرائيل ولفنسون حول الدعوة الإسلامية.عرض ونقد) رسالة دكتوراة للباحث بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.

وتتكون هذه الرسالة من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب وخاتمة.

تضمنت المقدمة أهمية الموضوع و أسباب اختياره، وأهداف البحث، وتساؤلاته، ومنهجه والدراسات السابقة، ثم ختمت بخطة البحث.

الجوانب الإنسانية في الشريعة الإسلامية، وتستعرض بشكل إجمالي تاريخ الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ونشأة الفرق، ثم تبحر بنا في عالم التصوف لتتعرف على رجالاته وتصوراتهم الإنسانية، وتنتهي الدراسة إلى وصف العالم الإسلامي المعاصر.

ينظر عن ذلك: بأقلام المستشرقين.. "الإسلام دين الإنسانية" في جناح الأزهر بمعرض الكتاب على الرابط التالي:

https://www.masrawy.com/news/news_economy/details

(١)د. عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني

ثم فى التمهيد عرف الباحث بأبرز مصطلحات عنوان البحث، وبالمستشرق (إسرائيل ولفنسون) وكتاباته حول الدعوة الإسلامية.

وفى الباب الأول: ذكر الباحث شبهات المستشرق (إسرائيل ولفنسون) حول مصادر الدعوة الإسلامية. وقد تضمن هذا الباب فصلان:

الفصل الأول: شبهات المستشرق (إسرائيل ولفنسون) حول القرآن الكريم.عرض ونقد

الفصل الثانى: شبهات المستشرق (إسرائيل ولفنسون) حول السنة النبوية.عرض ونقد

وأما الباب الثانى فقد جاء بعنوان: شبهات المستشرق (إسرائيل ولفنسون) حول النبى (صلى الله عليه وسلم) وبعض الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم).وفيه فصلان:

الفصل الأول: :شبهات المستشرق (إسرائيل ولفنسون) حول النبى (صلى الله عليه وسلم). عرض ونقد

الفصل الثانى: شبهات المستشرق (إسرائيل ولفنسون) حول بعض الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم).عرض ونقد

وأما الباب الثالث فقد ذكرت فيه: شبهات المستشرق (إسرائيل ولفنسون) حول السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى.عرض ونقد. وفيه فصلان:

الفصل الأول: شبهات المستشرق (إسرائيل ولفنسون) حول السيرة النبوية.عرض ونقد

الفصل الثانى: شبهات المستشرق (إسرائيل ولفنسون) حول التاريخ الإسلامى.عرض ونقد

ثم جاءت الخاتمة وفيها أهم النتائج التى توصل إليها البحث وأبرز التوصيات التى أوصى بها الباحث.

ولعل هذه كانت آخر رسالة نوقشت في جامعة الأزهر في نقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام حتى كتابة هذه السطور –على حد علم الباحث–.

ك– عقد المؤتمرات

اهتم الأزهر الشريف بعقد المؤتمرات التي تتناول الخطاب الاستشراقي حول الإسلام، وتأتي أهمية هذه المؤتمرات من كونها يحضرها عدد كبير من العلماء والباحثين من شتى أنحاء العالم مما يساعد على التواصل وتلاقح الأفكار، ومن أهم هذه المؤتمرات ما يأتي:

١– مؤتمر (المستشرقون والتراث العربي والإسلامي)، الذى أقامته كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالزقازيق عام(٢٠١٥م) بالمشاركة مع المجلس العلمي العالمي للغة العربية بلبنان. وقد تناول المؤتمر معالم الإنصاف والتشويه في موقف المستشرقين من الفكر الإسلامي، وشبهات المستشرقين حول تاريخ الأنبياء والصحابة وتفنيد هذه الشبهات إلى غير ذلك من القضايا.

٢– مؤتمر (أعلام العربية في مرايا المستشرقين) الذى أقامته كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنصورة عام(٢٠١٩م)

وقد سعى المؤتمر إلى تجلية الصورة التي رسمها المستشرقون لأعلام العربية والكشف الواعي للجوانب الإيجابية والسلبية لرؤية المستشرقين لأعلام العربية وفهم ما أنجزه المستشرقون فهما علميا بعيدا عن التعصب كانت هذه بعض الجهود التي بذلها الأزهر الشريف لنقد الخطاب الاستشراقي حول الإسلام، وتصحيح الصورة الخاطئة التي رسمها معظم المستشرقين عن الإسلام، وما زال الأزهر الشريف وسيظل بعون الله تعالى سدا منيعا أمام كل المتربصين والمشككين.

الخاتمة

الحمد لله في بدء وختم، وبعد أن من الله علي بإتمام هذا البحث أذكر بعض النتائج التي توصل إليها، وهي علي النحو الآتي:

١- كان الأزهر وما يزال درع الإسلام الحصينة، ومنبع الوسطية بعيدا عن الإفراط والتفريط.

٢- استوعب الأزهر جميع الأفكار وناقشها بالحجة والدليل.

٣- تناول الأزهر الخطاب الاستشراقي بالنقد معتمدا على العقل والمنطق

٤- سار الأزهر في نقد الخطاب الاستشراقي في محورين هامين أولهما: علماؤه وباحثوه، وثانيهما: الأزهر كمؤسسة اضطلعت بدورها في هذا الأمر.

٥- أبرز الأزهر آراء بعض المستشرقين المنصفين في القديم والحديث، حتى ولو لم يسلموا.

وفي ختام هذا البحث أوصي بعدة أمور منها:

١- ضرورة الاهتمام بالأبحاث التي تتناول الخطاب الاستشراقي حول الإسلام، وترجمتها للعديد من اللغات ليعلم المسلمون حول العالم كنه هذا الخطاب.

٢- ضرورة اهتمام وسائل الإعلام بإفراد مساحات كبيرة لبحث الاستشراق وآثاره على العالم الإسلامي، وكيفية الرد على الشبهات التي يثيرها المستشرقون، وذلك بتسليط الضوء على الأصل العقدي لهذا الأمر، وربطه بالأحداث على أرض الواقع.

٣- وجوب اعتماد المهتمين من المسلمين بنقد الخطاب الاستشراقي على العقل والمنطق، والمقارنة بين ما عندنا وما عند المستشرقين بدلا من الدوران في دائرة المدح لما عندنا والذم لما عندهم فقط؛ لتكون الحجة أبلغ ، والنقد ألزم.

٤- ضرورة إنشاء الأزهر الشريف مرصدا للدراسات الاستشراقية تكون مهمته رصد ما يقال عن الإسلام بين الحين والآخر، والرد عليه بطريقة علمية منهجية وبلغات متعددة.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

١- أبجديات البحث فى العلوم الشرعية- د/فريد الأنصارى- الطبعة الأولى١٤١٧هـ-١٩٩٧م- مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- سلسلة الحوار٢٧-منشورات الفرقان.

٢- الأزهر في ألف عام-د/محمد عبد المنعم خفاجي- الطبعة الثانية- عالم الكتب-بيروت.

٣- الأزهر في قرن- د/ماجدة علي صالح -بدون تفاصيل.

٤- الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة- محمد كامل الفقي- المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف

٥- الاستشراق (تعريفه - مدارسه- آثاره)- محمد فاروق النبهان - منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) -١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٦- الاستشراق الروسي دراسة تاريخية شاملة- د/ محمود الساموك- - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. دار المناهج -عمان- الأردن.

٧- الاستشراق فى ميزان الفكر الإسلامى(٣)- د/محمد إبراهيم الفيومى- سلسلة قضايا إسلامية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٨- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق - دار المعارف، القاهرة ١٩٩٧م

٩- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم-د/مصطفى السباعي - بدون تفاصيل للطبعة- المكتب الإسلامي.

١٠- الاستشراق وموقفه من السنة النبوية- فالح بن محمد بن فالح الصغير- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

١١- تاريخ الجامع الأزهر- محمد عبد الله عنان- ط٢-مؤسسة الخانجي١٩٥٨م.

١٢- تكوين المفكر- د/عبد الكريم بكار- الطبعة الأولى١٤٣١هـ- ٢٠١٠م- دار السلام- القاهرة

١٣- جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة- سليمان بن محمد الجار الله-ص٩- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٤- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي - تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم- الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م- دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر.

١٥- الشيخ عياد الطنطاوي أزهري علم الغرب لسان العرب- مقال بجريدة صوت الأزهر٩/٩/٢٠١٧م

١٦- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي- الصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عباد-تحقيق الشيخ/محمد حسين آل ياسين- الطبعة الأولى-١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م- مطبعة المعارف- مكتبة النهضة- بغداد

١٧- لسان العرب- جمال الدين بن منظور -الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ- دار صادر - بيروت.

١٨- مختار الصحاح للرازي- - تحقيق/ يوسف الشيخ محمد- الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م- المكتبة العصرية- بيروت، الدار النموذجية- صيدا.

١٩- المستشرقون د/نجيب العقيقي -الطبعة الثالثة- دار المعارف.

٢٠- المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية- ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢١- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٢٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي - الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣- نشأة الاستشراق، مراحله ودوافع المستشرقين-د/أحمد عبد العزيز الحصين- الطبعة الأولى١٤٣٢هـ-٢٠١١م- مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٤- النظرية النقدية عند العرب- د/هند حسين طه- منشورات وزارة الثقافة والإعلام-الجمهورية العراقي-إصدار ١٩٨١م- دار الرشيد.

٢٥- نقد الخطاب الاستشراقي- ساسى الحاج- -دار المدار الإسلامي- بيروت٢٠٠٢م

٢٦- نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة-د/علي النملة- الطبعة الأولى١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢٧- نقض كتاب في الشعر الجاهلي- الشيخ/ محمد الخضر حسين - مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.